محبّة العدوّ بحسب لو ٦: ٢٧-٣٦

د. دانيال عيوش
جامعة البلمند

مقدّمة

يُعتبَر قول يسوع عن محبّة العدوّ بين الأقوال الأصعب قبولاً بسبب طرحه الجذريّ والجريء للموضوع بأسلوبٍ يبدو للقارئ أنّه غير منطقيّ. لذلك معظم المسيحيّين عبر التاريخ وفي الحاضر غالبًا ما غضّوا ويغضّون النظر في وجوده. ماذا يعني أن نحبّ الأعداء؟ إلى أيّ حدّ يجب على المسيحيّ المؤمن أن يبذل نفسه ضحيّةً للعنف المفروض عليه من قبل "العدوّ"؟ متى، إذن، يُسمَح بمهاجمة العدوّ من أجل الدفاع عن خاصّتنا ومصالحنا؟

عندما نطرح أسئلة كهذه، تصبح الجذريّة الكامنة في هذا التعليم غيرَ مقبولة. وفي المقطع نفسه نجد أيضًا القول عن الضرب على الخدَّين الذي يعلّم الامتناع من ردّ العنف بالعنف[١]، وله علاقة وثيقة بمبدأ محبّة العدوّ. وكما سنرى أدناه، موضوع مناهضة العنف هو بعدٌ من الأبعاد العديدة التي تحدّد سلوك المؤمن المسيحيّ المرتكز على مبدأ محبّة العدوّ.

بحسب النقد الأدبيّ، وتحديدًا نقد التحرير الأدبيّ، تحتوي "العظة في السهل" في لوقا (الموازية للعظة على الجبل في مت ٥-٧) الشكل الأقدم لهذه الأقوال. لذلك يرتكز البحث في هذه المقالة على ما ورد في إنجيل لوقا. إنّ العظة في السهل في الإصحاح السادس من لوقا تتألّف من ثلاثة أقسام رئيسيّة وهي: قسم التطويبات والويلات (آ ٢٠-٢٦)، قسم المقتضيات السلوكيّة من

(١) رج لو ٦: ٢٩-٣٠ ومت ٥: ٣٨-٤٢، أي الطباق السادس في العظة على الجبل.

أجل الملكوت (آ ٢٧–٣٨)، وقسم الأمثال التوضيحيّة (آ ٣٩–٤٩). أمّا الأقوال حول محبّة العدوّ، فهي ترد في الوسط، في قسم المقتضيات السلوكيّة الذي بدوره يتبع البُنية الأدبيّة التالية:

القسم الأوّل (آ ٢٧–٣٤ يغلب فيه الكلام الحَثّيّ)
٢٧–٣٠ الإرشادات
٢٧–٢٨ محبّة العدوّ
٢٩–٣٠ أمثلة تطبيقيّة
٣١ القول المركزيّ: القاعدة الذهبيّة
٣٢–٣٤ الأسباب على محور الأفقيّ (التصرّف مع الآخر)

القسم الثاني (آ ٣٥–٣٨ يغلب فيه الكلام بالحجج)
٣٥ محبّة العدوّ والبنوّة الإلهيّة
٣٦ القول المركزيّ: الاقتداء بالله
٣٧–٣٨ الأسباب على محور العموديّ (التصرّف مع الله)

تعتمد هذه المقالة على المقاربة التفسيريّة فحسب، دون الولوج إلى مناقشة المواقف اللاهوتيّة العديدة الواردة في التعليم السلوكيّ الخاصّ بكلّ كنيسة. إنّها تنطلق من عمل تفسيريّ نقديّ للنصّ اللوقاويّ، وذلك من أجل التعمّق في المعاني الكامنة في هذا النصّ التأسيسيّ للسلوك المسيحيّ.

١– بنية الآيتَين ٢٧–٢٨ ومضمونهما

ندرس تحت هذا العنوان الجمل الأولى للإرشادات حول المقتضيات السلوكيّة من أجل الملكوت وبداية عرض أسبابها (آ ٣٥) التي تلخّص ما قاله يسوع في قسم الإرشادات كلّها (آ ٢٧–٣٠)، وهذا لأنّ موضوع محبّة العدوّ يرد في كلا النصّين.

تتكوّن الجمل في الآيتين ٢٧–٢٨ من أربعة أفعال أمر تقرن جنبًا إلى جنب دون أيّة أداة وصل. تأتي الأفعال كلّها في زمن الحاضر(٢)، ولكلّ فعل أمر مفعول به بشكل اسم فاعل، وهو يدلّ على التصرّف العدوانيّ لجماعة لا تحدَّد هويّتها. فقط الاسم "أعداء" في آ ٢٧ب يستثني قاعدة ورود أسماء الفعل. الجمل بسيطة وقصيرة بكلّ عناصرها في عدد الجمع. أمّا بخصوص الصيغة البلاغيّة المستخدمة، فيدلّ هنا إلى استخدام صيغة الموازاة الشعريّة (*parallelismus membrorum*).(٣)

تبدأ الجمل وتنتهي بفعل أمر للمخاطب الجمع، والمفعول به فيها (الجماعة العدوانيّة) يأتي بضمير المخاطب الجمع الموصول بمعنى الإضافة: أعداء**كم** ومبغضيـ**كم**. بهذه الطريقة ترسم الجمل الأربع حركةَ الفعل بشكل أنّه ينبثق من متلقّي الإرشادات ويعود إليهم، ولكنّ الحركة ليست بمتبادلة، لا بل بالعكس، الفعل الذي يجب أن يقوم به مستمعو يسوع هو مضادٌّ للفعل الذي تلقّوه من الآخرين. لذلك يصبح المعنى لهذه الإرشادات غير منطقيّ وغريب: يجب على المستمعين أن يحبّوا الأعداء، أن يُحسنوا إلى مبغضيهم، أن يباركوا لاعنيهم، وأن يصلّوا من أجل مشوِّهي سمعتهم.

يلفت النظر أيضًا أنّه، في الواقع، أسماء الفعل الثلاثة المستخدمة هنا تأتي في زمن الحاضر، أي أنّها تدلّ على استمراريّة الأفعال العدوانيّة وتكرارها على مَن يقرّر تطبيق إرشادات يسوع. هكذا يمنع النصّ إمكانيّة التفسير بأنّ القائمين بأفعال الخير يرجون المعاملة بالمِثل من قبل مجموعة "الأعداء". أمام هذه الإرشادات غير المنطقيّة بحسب الحكمة البشريّة التي تهدف أوّلاً إلى

(٢) هناك في اللغة اليونانيّة زمنان لفعل الأمر: الحاضر والماضي البسيط، وكلّ منهما يدلّ على طريقة إتمام الفعل في زمن: الحاضر يدلّ على الاستمرار والتكرار، بينما الماضي يدلّ على الزمن المحدّد والمرّة الواحدة. رج Blass § 318 § 339.

(٣) رج التعريف عن الموازاة الشعريّة في: Bühlmann 35. وحول استخدام الموازاة الشعريّة في الأدب الحكميّ رج von Rad, 42ss وSevenich-Bax, 388s.

خير الإنسان في الحياة، يجب على المعلّم أن يعرض الأسباب التي قد تقنع المستمعين بقبول تعليمه، وهذا ما يدوّنه لوقا في القسم الثاني من الخطبة، وخصوصًا في الآيتين ٣٥–٣٦.

يمكننا جمع الأفعال في أربعة أجواز على مبدأ "الفعل–ردّة الفعل" التي تشكّل بدورها موازاتين شعريّتين تتكاملان في الدلالة والمضمون. يرسم الجدول الآتي أدناه هذه الفكرة بوضوح:

الموازاة الأولى	المحبّة	العداوة	الخير بالأعمال	
	عمل الخير	البغض	(*benefacere*)	
الموازاة الثانية	البركة	اللعنة	الخير بالأقوال	
	الصلاة	الإساءة	(*benedicere*)	

تتحرّك الموازاتان بطرق مختلفة لمعالجة مسألة واحدة، هي علاقة المسيحيّ بالقريب المهدِّد والعدوانيّ. بحسب الشرط الأساسيّ للعظة في السهل، الذي يضع مستمعي يسوع واقفين دائمًا أمام العرش الإلهيّ (رج Ayuch, 134–136)، تتطلّب آ ٢٧ من المحسنين ألاّ يتوقفوا عن الأعمال، في حين أنّ آ ٢٨ تتطلّب الشفاعة من أجل العدوانيّين أمام العرش الإلهيّ. بكلام آخر، تغطّي، كلّتا الموازاتان الاتّجاهَين اللذين يمكن للمرء أن يوجّه تصرّفَه للآخر: الاتجاه الأفقيّ بمعنى صانع الخير (*benefactor*)، والاتجاه العموديّ بمعنى قائل الخير (*benedictor*).

٢– التصرّف بحسب المحبّة

تعالج الموازاة الأولى في آ ٢٧ موضوع تصرّف المؤمن بحسب مبدأ المحبّة كما يرد في العظة في جُملٍ عدّة. يرد الفعل "أَحبَّ" ليس في الإرشادين

للآيتين ٢٧ و٣٥ فحسب، بل أيضًا في الجملة التوكيديّة للآية ٣٢. أمّا بالنسبة إلى الفعل "عمل"، فنجد أربع وحدات معنويّة، وهي تعطي باللغة العربيّة الأفعال التالية: "أحسن" (kalwj poiew) في آ ٢٧، "عمل هكذا" (omoiwj poiew) في آ ٣١، "عمل بالمثل" (to auto poiew) في آ ٣٣، و"صنع الخير" (agaqopoiew) في آ ٣٥. هناك علاقة دلاليّة وثيقة بين الفعلين "أحبّ" و"عمل" كما تبيّن لنا الدراسات الدلاليّة لكلتا الكلمتين (Ayuch, 111–113).

يدلّ استخدام لوقا للفعل "أحبّ" في العظة في السهل (ستّ مرّات من أصل الثلاث عشرة مرّة في كلّ الإنجيل) على الدور المركزيّ الذي يلعبه هذا المقطع لفهم معاني فعل المحبّة (agapaw) بحسب لوقا البشير. هذا مهمّ أيضًا إذا أضفنا أنّ الفعل "أحبّ" لا يرد أبدًا في الحبكة السرديّة، بل فقط في الخطبات، وبشكل خاصّ في خطبات يسوع، التي تعالج مواضيع ذات بُعد سلوكيّ.(٤) يدل الفعل "أحبّ" في الجمل الست التي يأتي فيها في العظة على تصرّف إنسانٍ تجاه إنسانٍ آخر، أي أنّ المحبّة مفهومة هنا كفعل بشريّ من أجل البشر وليس لوصف العلاقة بين الله والإنسان. بكلام آخر نقرأ في العظة عن المحبّة ببعدها الأُفُقيّ وليس ببُعدها السماويّ.

إنّ صياغة الموازاة الشعريّة بالفعلين "أحسن" (kalwj poiew) و"أحبّ" (agapaw) تعطي لهذا الأخير دلالة خاصّة تبرز الوجه العملانيّ والتطبيقيّ على الوجه العاطفيّ والحسّيّ تجاه القريب. المحبّة تعني هنا القيام بأفعال حسنى وليس الشعور النفسانيّ بتفضيل شخص على آخر. نجد في الأدب اليهوديّ أيضًا جملاً شبيهةً تحتوي على هذين الفعلين. ثمّة استشهادان يقتبسان الوصيّة الواردة في لا ١٩: ١٨: "لا تَنْتَقِمْ وَلاَ تَحْقِدْ عَلَى أَبْنَاءِ شَعْبِكَ، بَلْ تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. أَنَا الرَّبُّ". هذان الاستشهادان يقدّمان تفسيرًا للآية على الشكل التالي:

(٤) بخصوص المعاني العديدة لفعل "أحبّ" بمصطلحاته الثلاثة في اللغة اليونانيّة، ر ج Stauffer، ٢١–٥٥.

١. "**أحبَّ** قريبك بنفسه، حتّى وإن كان يبغضك لا **تصنع** [الشرَّ] له: أنا الربّ" (الترجوم المنسوب إلى يوناثان لا ١٩: ١٨).

٢. "يا أبنائي، **أحبّوا** بعضكم بعضًا كإخوة، كما يحبّ الإنسان نفسه. وليسعَ كلٌّ واحد إلى **فعل الخير** لأخيه، ويعمل معه باتّفاق على الأرض. وليحبّ الواحد الآخر كما يحبّ نفسه" (يوبيلات ٣٦: ٤).

يعبّر الاستشهاد الأوّل بالنفي والثاني بالتوكيد ميزةَ فعل المحبّة كفعل لا يبحث عن مصلحة فاعله أوّلاً، بل بالأحرى يخرج ويبحث عن القريب ويعمل الخير له (في هذين المثلين القريب هم الرفقة والإخوة). إنّ فعلَي المحبّة والعمل الحسن في هذين الاستشهادين وفي لو ٦: ٢٧ي مترابطان ومترادفان بشكل أنّه يمكن تبديلهما الواحد بالآخر بدون أيّ تغيير للمعنى الوارد في الجمل.

٣- الأمر بضرورة محبّة القريب

شدّد يسوع بشكل بارز وجليّ على ضرورة محبّة العدوّ، وهذا ما أعطى للعظة في السهل ميزة خاصّة لا شبيه لها في سِفرَي لوقا-أعمال. لا يُعتبَر مبدأ محبّة العدوّ إنجازًا مسيحيًّا محضًا، إذ أنّه مذكور في بعض الكتابات الشرقيّة القديمة والكتابات الهلّينيستيّة واليهوديّة أيضًا، كما تبيّنه الاستشهادات التالية:

١. "لا تُبادِلْ خَصْمَك بالشرّ، عامل الشرّير بلطف، أحكم على عدوّك بعدل، وابتسم لخصمك. إذا حاقدك... (كذا)، فأطعمْه" (نصائح الحكمة ٤١-٤٥).

٢. "إنّ المعاملة بالمثل يجب أن تكون بشكل أنّ الأصدقاء لا يتحوّلون إلى أعداء، بل الأعداء إلى أصدقاء" (ذيوجينيس ليرتيوس ٨. ١. ٢٣).

٣. "[٢١]إِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ خُبْزًا، وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ مَاءً، [٢٢]فَإِنَّكَ تَجْمَعُ جَمْرًا عَلَى رَأْسِهِ، وَالرَّبُّ يُجَازِيكَ" (أمثال ٢٥: ٢١-٢٢).

٤. "إن حاول إنسان أن يسيء إليكم، فعاملوه بالخير وصلّوا لأجله، فيحرّركم الربّ من كلّ شرّ" (وصايا ١٢: يوسف ١٨: ٢).

٥. "الرجل الصالح...، حتّى وإن أرادوا أن يسيئوا إليه، فهو يفعل الخير لكي يغلب الشرّ، وهو الذي ينعم بحماية الله، أمّا الأبرار فيحبّهم كنفسه" (وصايا ١٢: بنيامين ٤: ٣)

يعود الاستشهاد الأوّل إلى النصف الثاني من الألفيّة الثانية قبل المسيح، وهو الأقدم المتوفر لنا بهذا الموضوع. إنّه يبرهن أنّ حكمة الشرق الأدنى القديم كانت تنشغل، منذ أزمنة باكرة جدًّا، بتقديم بديلٍ عن بغض العدوّ. في العالم اليونانيّ القديم تبرز الرواقيّة والفيثاغوريّة بين التيّارات الفلسفيّة التي علّمت تعليمًا شبيهًا، كما يبيّنه النصّ رقم ٢. أمّا الاستشهادات الثلاثة الأخرى، فهي تنتمي إلى الإرث الثقافيّ الدينيّ اليهوديّ، وهي تعكس وجود فكرة الامتناع من كره العدوّ في فترة زمنيّة طويلة تغطّي الخمسمائة سنة قبل مجيء يسوع المسيح. في هذه النصوص ترد للمرّة الأولى حججٌ لاهوتيّة تدافع عن ضرورة الامتناع عن بغض العدوّ. هناك كلام عن مكافأة الله الذي يحرّر الأبرار من الأشرار ويحميهم. يكمن السبب الرئيسيّ للتصرّف الودّيّ تجاه العدوّ في المبدأ الأساسيّ للعدالة الإلهيّة، أحد الخصائص الإلهيّة في الفكر اليهوديّ القديم.

قبل الختام للتعليق على هذه الآية اللوقاويّة يجدر ذكر بعض الاستنتاجات: أوّلاً، إنّ لوقا يستخدم قالبًا أدبيًّا معروفًا من قبلُ لكي يعبّر عن قناعاته الخُلقيّة. ثانيًا، إنّ البعد الدينيّ لمفهوم العداوة في عظة يسوع مهمٌّ جدًّا بالنسبة إلى الإنجيليّ، ولذلك القوّة العملانيّة للمحبّة يُعبَّر عنها بالأفعال الخيريّة غير المشروطة إلاّ بقوّة الإيمان. وثالثًا، هناك ميزة خاصّة بالقلم اللوقاويّ وهي الطريقة الملحّة وغير القابلة للنقاش التي يصرّ بها يسوع في هذه العظة على ضرورة تطبيق مبدأ محبّة العدوّ. يفسّر سبب هذا الإلحاح في سياق عرض

الحجج الحكميّة والرؤيويّة في آ ٣٦–٣٨.

٤– المثل التطبيقيّ لمحبّة العدوّ

يرد في الآيتين ٢٩–٣٠ مثل عن كيفيّة تطبيق مبدأ محبّة العدوّ، وهو يرد أيضًا في العظة على الجبل في مت ٥: ٣٩–٤٠. بالاختلاف عن النصّ المتّاويّ نجد في لو ٢٩ تبديل ترتيب الرداء والثوب؛ ففي متّى يؤخذ أوّلاً الثوب، بينما في النصّ اللوقاويّ الرداء يأتي المقدَّم :

مت ٥: ٤٠	لو ٦: ٢٩ب
...وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضًا.	...وَمَنْ أَخَذَ رِدَاءَكَ فَلاَ تَمْنَعْهُ ثَوْبَكَ أَيْضًا.

يكمن السبب الأوّليّ لهذا الفرق في أنّ متّى يقدّم قول يسوع في سياق محكمة، وفيه يصدر القاضي حكمًا على المتّهم بنزع ثوبه كفدية عن تهمة معيّنة، لذلك إضافة الفعل "أَنْ يُخَاصِمَكَ". كان هذا النوع من الأحكام يصدر على الفقراء الذين لا يملكون إلاّ ما يلبسونه وما كانوا ينزعون عنهم رداءهم (عباءتهم) لأنّه كان يحمي حامله من البرد في الليل، ولذلك كان أهمّ من الثوب. أمّا خلفيّة النصّ اللوقاويّ فهي التعرّض لعمليّة السرقة حيث اللصّ يأخذ أوّلاً الرداء (القطعة الخارجيّة)، ثمّ الثوب (القطعة الداخليّة).(٥) أمّا الفعل "ضَرَبَ" المستخدم في بداية آ ٢٩ للإشارة إلى ضرب الخدّ (tύptw)، لا يعني إلاّ الضرب، وبالتالي يدلّ على إساءة عنيفة. في تحليلنا للأفعال العنيفة في هذه الآية يبقى التعليق على الفعل "أَخَذَ" (airw) الذي له هنا معنى السرقة كما في لو ١١: ٥٢؛ مر ٤: ٢٥ ومت ٢١: ٤٣. إذن، يمكننا القول بأنّ يسوع يطلب من

(٥) يشير باور في قاموسه إلى البعد العدوانيّ لفعل "أخذ" (airw) في بعض النصوص. رج BAUER, s.v. § 4. للمزيد حول المقارنة الإزائيّة لهذه الأقوال رج SEVENICH-BAX, 120f و BOVON, 321.

تلاميذه أن يكونوا دائمًا مستعدّين أن يشاركوا بما لديهم، حتّى وإن كان ملكهم خفيفًا، وحتّى إن كان القريب أمامهم يعتبر أنّه يسرق الممتلكات.

تعبّر آ ٣٠ بوضوح جليّ عن هذه الفكرة، وتعلن عنها بأسلوب قاعدة عامّة تنطبق على جميع أتباع يسوع: "وَكُلُّ مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَخَذَ الَّذِي لَكَ فَلاَ تُطَالِبْهُ". بحسب هذا القول يجب العطاء مهما كانت الظروف، إن سرقوه أو إن طلبوا منه، يبقى دائمًا جواب المؤمن العطاء، لأنّ المؤمن هو سيّد الموقف ويسيطر على كلّ الأوضاع، إذ أنّه لا يقدر أن يخسر شيئًا من ممتلكاته التي هي أصلاً لأبيه السماويّ. لذلك لا يمانع المؤمن عن مشاركته بكلّ ما لديه مع القريب. إنّها الحرّيّة العليّة، ولا حرّيّة كهذه إلا لأبناء الآب.

يجوز مقارنة آ ٣٠ بـ لو ١١: ٩ حيث يرد الفعلان "سَأَلَ" و"أَعطَى" معًا أيضًا: "وَأَنَا أَقُولُ لَكُمْ: إسْأَلُوا تُعْطَوْا، اُطْلُبُوا تَجِدُوا، إقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ". الله هو المعطي، والمؤمن هو من يسأل، وكما يعطي الله لكلّ من يسأله، هكذا أيضًا يعطي المؤمن لقريبه. هذا هو مبدأ الاقتداء بالله (*imitatio Dei*) الذي يبني عليه يسوع أيضًا في لو ٦: ٣٦، وقدّم في آ ٣٠ تمهيدًا له. لا يطلب المؤمن الاسترجاع، لأنَّ أخذ القريب من ممتلكاته، إن كان بواسطة الطلب أو بواسطة العنف، أتاح له فرصة للعطاء، والله وحده يقدر أن يطلب استرجاع ما قد أعطى. هكذا نقرأ في لو ١٢: ٢٠ حيث يطلب استرجاع الحياة التي أعطيت لذلك الرجل: "هذِهِ اللَّيْلَةَ تُطْلَبُ نَفْسُكَ مِنْكَ" (tauth th nukti thn yuchn sou apaitousin). وكما يقول المثل العربيّ الشهير المستوحى دون شكّ من التقليد البيبليّ اليهوديّ المسيحيّ: "الملْك لله وحده"، ولذلك لا يحقّ إلاّ لله أن يطالب بالاسترجاع. وقد يكون لو ٦: ٣٠ النصّ الأقرب إلى قول يسوع الوحيد الذي يستشهد به بولس في سفر أعمال: "مَغْبُوط هُوَ الْعَطَاءُ أَكْثَرُ مِنَ الأَخْذِ" (أع ٢٠: ٣٥).

ما يطرحه يسوع هنا ليس له علاقة بالتنازل عن حقّ مقاومة العنف. إنّه أهمّ

وأوسع بالكثير من ذلك. يطرح يسوع في العظة في السهل أن يكون موقف المؤمن موقف فعّال وليس انفعاليًّا. المؤمن يعمل من أجل القريب، ولذلك له دائمًا الاستعداد للعطاء وللمشاركة مع القريب مهما اشتدّت الظروف، وذلك لأنّه ابنٌ للآب السماويّ الذي قدّم من أجلنا، نحن البشر، ابنه الوحيد.

٥- القاعدة الذهبيّة ومبدأ الاقتداء بالله

يلاحَظ في سياق الكلام عن محبّة العدوّ إبراز مبدأين أساسيَّين في الأخلاق المسيحيّة وهما: القاعدة الذهبيّة التي تعلّم معاملة القريب بالمثل (آ ٣١) والاقتداء بالله (آ ٣٦).

تنتمي القاعدة الذهبيّة الكلاسيكيّة، "كما يفعل الناس بكم، إفعلوا أنتم بهم هكذا أيضًا"، إلى الإرث الثقافيّ اليونانيّ وإلى التراث اليهوديّ أيضًا. يمكننا التأكيد على ذلك بناء على النصوص العديدة عن الموضوع في كلا التقليدين. هنا بعض الشواهد: هوميروس، أوديسية ٥، ١٨٨-١٩١؛ إيسُقراط، إلى ديمونيكوس ١، ١٧؛ ذيوجينيس ليرتيوس ١. ٣٦ طاليس؛ سير ٣١: ١٥ (في السبعينيّة)؛ طوبيا ٤: ١٥؛ يوسف أشينيت ٢٨. ١٤؛ أريستياس ٢٠٧؛ التلمود *bSchab* ٣١؛ التلمود الأورشليميّ ١ لـ لاو ١٩: ١٨.[٦] يكمن الفرق الكبير بين هذه الكتابات وقول يسوع في إنجيل لوقا في رفع طرح المعاملة بالمثل إلى مستوى أرقى ممّا كان معروفًا حتّى ذلك الوقت وهو مستوى التمنّي والرجاء. يعلّم يسوع في لو ٦: ٣١ أنّه يجب على المسيحيّ معاملة الآخر، لا كما الآخر يعامل المسيحيّ، بل كما كان المسيحيّ يرجو أن يعامل من الآخر. يعلّم يسوع أنّ المسيحيّ لا يردّ بالمثل لأعمال الآخرين، بل أنّه يتعب ويسعى أن يقدّم للآخرين الأفضل والأحسن، تمامًا كما كان يتمنّى أن يأخذ هو من هؤلاء. يقدّم البيان أدناه رسمًا لحركة المعاملة بين تلاميذ يسوع (أنتم) والناس (الأعداء):

(٦) للمزيد من الشواهد ر ج: Ayuch، ١٢٥-٦.

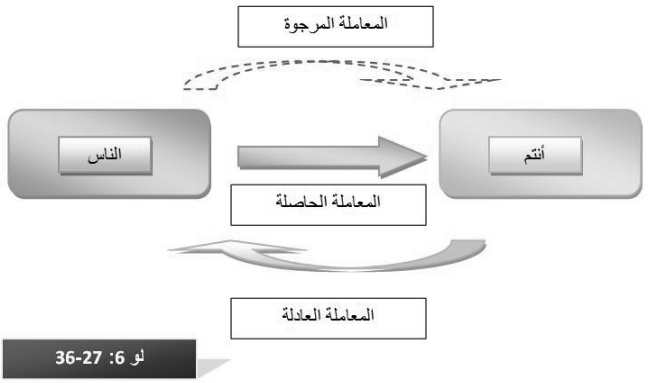

يميّز هذا البيان بين ثلاثة أنواع من المعاملات بين التلاميذ والناس. أوّلاً، تأتي المعاملة المرجوّة، أي التي لم تحصل أبدًا في الواقع، ولكنّ تلاميذ يسوع ينتظرونها من الناس. هذه المعاملة المرجوّة هي المقياس لمعاملة الآخرين، إذ لا أحد في صوابه يتمنّى لنفسه إلاّ الخير والسعادة. ثانيًا، وفي وسط البيان، تأتي المعاملة الحاصلة وهي في سياق العظة تدلّ على الأفعال العدوانيّة التي يقوم بها الناس على جماعة التلاميذ. بالنسبة إلى يسوع، هذه المعاملة لا تؤخذ بعين الاعتبار لأنّها لا تولّد إلاّ الشرّ، وعلى التلاميذ أن يتحمّلوا أضرارها إذا حصلت لأنّها ليست بخسارة، بل هي المشاركة مع القريب. ثالثًا، تأتي المعاملة العادلة وهي في أسفل البيان. تنطلق هذه المعاملة من عند التلاميذ، ويتوجّه إلى الجميع من أجل خير الكلّ. تتأسّس هذه المعاملة على المحبّة وفعل الخير للجميع بما فيهم الأعداء.

وفي الواقع يلغي يسوع مفهومَي العدالة والحكمة كما يعقلهما هذا العالم ويعطي لهما بعدًا روحيًّا ساميًا لأنّه ينطلق من حقيقة مجيء الملكوت وتأسيسه بحسب المحبّة الإلهيّة ورحمته. ليس للقاعدة الذهبيّة مفهوم قضائيّ، بل لها أوّلاً دورٌ تربويّ لأنّها "القاعدة الجوهريّة للتصرّف الحكيم" (Sevenich-Bax, 422).

أمّا المبدأ الثاني، فهو مبدأ الاقتداء بالله، وله أيضًا بعدٌ روحيّ سماويّ: "كُونُو رُحَمَاءَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ أَيْضًا رَحِيمٌ" (آ ٣٦). يبرز لوقا هنا الميزة الإلهيّة الأصعب فهمًا بالنسبة إلى الأمميّين: إنّ الله رحيم، وفي رحمته يكمن كماله (رج النصّ الموازي في مت ٥: ٤٨ حيث نجد المصطلح كامل –teleioj– عوضًا عن رحيم –oiktirmwn) يشدّد لوقا البشير في عدّة مقاطع من إنجيله على التنازل الإلهيّ لأنّ الربّ رحم شعبه وأنقذه من شدّته والضلال. هذا ما يسرد في مشهد المذود في بيت لحم وفي مشهد إقامة ابن الأرملة في نائين وفي قول يسوع للذين صلبوه في ٢٣: ٣٤: "يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يفْعَلُونَ". كانت الرحمة تُعتبر رذيلةً من قبل الحكماء اليونان لأنّها تنبت من المشاعر، وهي ميزة من ميزات النساء وليس الرجال الفضلاء (رج LÖNING). لذلك، لم تكن الرحمة تُعدّ من خصائص الآلهة اليونان، وإذا كان القاضي رحيمًا لا يقدر أن يطبّق العدل الذي يتطلّب أحيانًا القساوة في القرار. أمّا يسوع، فلمْ يعلّم كذلك. بالنسبة إليه، الرحمة الإلهيّة تخلّص الإنسان من فساده وتمنح له ما لا يستحقّ أبدًا، أي أن يكون المؤمنون أبناءً لله وأبناء الملكوت السماويّ. نجد بذورًا لتعليم يسوع في بعض الكتابات العائدة إلى زمن اليهوديّة الأولى. وهنا نقدّم مثلين جوهريَّين:[٧]

١. "رحمةُ الإنسان لقريبه، أمّا رحمةُ الرّبّ فلكلِّ ذي جَسَد" (سي ١٨: ١٣)

٢. "يا أبناء إسرائيل، يا شعبي، كما أبوكم في السماء رحيم، كونوا أنتم أيضًا رحماء على الأرض" (الترجوم المنسوب إلى يوناثان لـ لا ٢٢: ٢٨).

(٧) للمزيد من الشواهد رج AYUCH، ١٣٩.

خاتمة

بعد تحليل هذا القسم المهمّ من "العظة في السهل" اللوقاويّة، يمكننا التأكيد على أنّ مسألة محبّة العدوّ لم تكن جديدة، لا في عالم الشرق الأدنى القديم ولا في اليهوديّة الأولى العائدة إلى زمن يسوع. لماذا، إذن، يُعتبَر الأمر بضرورة محبّة العدوّ ميزةً خاصّة بالمسيحيّة، وإنْ لم تمارس إلاّ من القدّيسين الأبرار؟ لماذا يرنّ هذا القول في آذاننا كقولٍ يسوعانيّ بامتياز؟ ما هو العنصر الجديد الذي وضع يسوع في قوله عن محبّة العدوّ؟

الجواب الأوّل لهذه التساؤلات يترسّى في اعتبار تعليم يسوع عن محبّة القريب المبدأ الجوهريّ لفكره اللاهوتيّ. في الواقع، يرى يسوع في محبّة القريب المفتاح التفسيريّ لكلّ أسفار العهد القديم. لا تنحصر محبّة القريب على الذين يحبّنا فحسب، بل تمتدّ أيضًا على من يبغضوننا. في هذا القسم من العظة يعلن يسوع أنّ العدوّ هو أيضًا قريبنا، ولذلك يفتح مجالات التأثير لمبدأ محبّة القريب على كلّ البشريّة دون استثناء. على المسيحيّ الحقيقيّ، إذن، أن يحبَّ كلّ إنسان على وجه الأرض بغضّ النظر عن وضعه الاجتماعيّ، السياسيّ، الاقتصاديّ أو الدينيّ. بحسب يسوع، المبدأ المعلن عنه في لا ١٩: ١٨، الآية المحوريّة التي ألهمت هذا القسم من العظة، يجب أن يمتدّ على كلّ المسكونة والأرض. المسيح أتى لخلاص البشريّة كلّها، ولذلك يحبّ الجميع. العالم قد يكره ويبغض، ولكنّ المسيحيّ لا يستطيع أن يسمح لنفسه بذلك. لا يعتبر يسوع القول في لا ١٩: ١٨، وخاصّة قوله عن محبّة العدوّ فكرةً مثاليّةً غير واقعيّةً، وهذا ما عبّر عنه في الأمثلة التطبيقيّة في العظة.

وفي الأخير يجدر الذكر أنّ صياغة يسوع للقول عن محبّة العدوّ وحيدة من نوعها بسبب جذريّتها في الموقف. كان يسوع أوّل مَن عبّر عن محبّة العدوّ بواسطة فعل الأمر، ولوقا أضاف على ذلك استخدام زمن الحاضر في صيغة الأمر، وشدّد بذلك على استمراريّة وتكرار فعل المحبّة، وإن كان الآخرون يسيؤون إلى المؤمنين. إنّه موقف جديد يتطلّب الحكمة في كلّ لحظة والتذكّر بأنّ الملكوت آتٍ في كلّ حين.

مراجع

AYUCH, D.A., *Sozialgerechtes Handeln als Ausdruck einer eschatologischen Vision*. Zum Zusammenhang von Offenbarungswissen und Sozialethik in den lukanischen Schlushelreden (MThA 54). Altenberge: Oros Verlag, 1998.

BAUER, W., Griechisch-Deutsches *Wörterbuch zu den Schriften des Neuen Testaments un der frühchristlichen Literatur*. Berlin, [6]1988.

BLASS, F. & A. DEBRUNNER. *Grammatik des neutestamentlichen Griechisch*. Göttingen, [17]1990.

BOVON, F., *Das Evangelium nach Lukas*. Vol. 1. Lk 1,1-9,50 (EKK 3,1), Zürich, 1989.

BÜHLMANN, W. & SCHERER K., *Stilfiguren der Bibel*. Ein kleines Nachschlagewerk. Fribourg, 1973.

DENIS, A.M., *Concordance Grecque des Pseudépigraphes d'Ancien Testament.* Concordance. Corpus des Textes. Indices. Université catholique de Louvain : Louvain-la-Neuve, 1987.

LAMBERT, W.G., *Babylonian Wisdom Literature.* Oxford, 1960.

LÖNING, K., "Die Torah als Weg zum ewigen Leben nach Lk 10,25-37", in: Angenendt, A. and H. Vorgrimler (ed.), *Sie wander von Kraft zu Kraft*. Aufbrüche, Wege Begegnungen (Festschrift for Bishop R. Lettmann), Kevelaer, 1993, 49-71.

von RAD, G., *Weisheit in Israel*. Neukirchen-Vluyn, 1970.

SEVENICH-BAX, E., *Israels Konfrontation mit den letzten Boten der Weisheit*. Form, Funktion und Interdependenz der Weisheitselemente in der Logienquelle (MThA 21). Oros Verlag: Altenberge, 1993.

STAUFFER, E., agapaw ktl, in: *ThWNT* I, 21-55.

لو ٦: ٢٧–٣٦
تقسيم النصّ

[٢٧]«لكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ أَيُّهَا السَّامِعُونَ:

أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ،

[٢٨]**بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ.**

[٢٩]مَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ فَاعْرِضْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا،

وَمَنْ أَخَذَ رِدَاءَكَ فَلاَ تَمْنَعْهُ ثَوْبَكَ أَيْضًا.

[٣٠]وَكُلُّ مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ،

وَمَنْ أَخَذَ الَّذِي لَكَ فَلاَ تُطَالِبْهُ.

[٣١]**وَكَمَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمْ افْعَلُوا أَنْتُمْ أَيْضًا بِهِمْ هكَذَا.**

[٣٢]وَإِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ،

فَأَيُّ فَضْل لَكُمْ؟ فَإِنَّ الْخُطَاةَ أَيْضًا يُحِبُّونَ الَّذِينَ يُحِبُّونَهُمْ.

[٣٣]وَإِذَا أَحْسَنْتُمْ إِلَى الَّذِينَ يُحْسِنُونَ إِلَيْكُمْ،

فَأَيُّ فَضْل لَكُمْ؟ فَإِنَّ الْخُطَاةَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ هكَذَا.

[٣٤]وَإِنْ أَقْرَضْتُمُ الَّذِينَ تَرْجُونَ أَنْ تَسْتَرِدُّوا مِنْهُمْ،

فَأَيُّ فَضْل لَكُمْ؟ فَإِنَّ الْخُطَاةَ أَيْضًا يُقْرِضُونَ الْخُطَاةَ لِكَيْ يَسْتَرِدُّوا مِنْهُمُ الْمِثْلَ.

[٣٥]**بَلْ أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، وَأَحْسِنُوا وَأَقْرِضُوا وَأَنْتُمْ لاَ تَرْجُونَ شَيْئًا،**

فَيَكُونَ أَجْرُكُمْ عَظِيمًا وَتَكُونُوا بَنِي الْعَلِيِّ،

فَإِنَّهُ مُنْعِمٌ عَلَى غَيْرِ الشَّاكِرِينَ وَالأَشْرَارِ.

[٣٦]**فَكُونُوا رُحَمَاءَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ أَيْضًا رَحِيمٌ».**